في إرشاد الأريب
إلى معرفة الأديب
للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ١١ —

* ج ١٨ ص ١٦٨ :

لو سمت بقعة لإعظام أخرى لسمى نحوها المكان الجديب

قلت : (لو سمت بقعة لإعظام نُعمى) والبيت لأبي تمام من قصيدة في محمد بن عبد الملك الزيات ، وقبله :

ديمة سمحة القياد سكوب ستغيث بها الثرى المكروب

وبعد ذاك البيت :

لذ شؤبوبها وطاب فلو تستطيع (م) قامت فعانقتها القلوب

* ج ١٩ ص ٢٠٨ : قال المؤيد الألوسي في صفة القلم :

ومثقف يغني ويفني دائماً في طورَي الميعاد والإيعاد
قلم يقل الجيش وهو عرمرم والبيضَ ماسُلّت من الأغماد
وهِبَتْ به الآجام حين تشابها كرم السيول وهيبة الآساد

قلت : (والبيضُ) وهذا ظاهر .

(وهَبَت له الآجام حين تشابها) وقد جاء (الألوسي) بفتح الهمزة في الكتاب ، وهو بضمها كما ورد في (وفيات الأعيان) . قال ابن خلكان : هذه النسبة إلى ألوس ، وهي ناحية عند حديثة عانة على الفرات . وفي (معجم البلدان) : (ومهفهف[1]) مكان (ومثقف) وفيه وفي (الوفيات) : (يغني ويفني) ويفني مثل يغني ، وعندي أن الأصل (يقني ويفني) قال ابن خلكان : ولقد رأيت هذه الأبيات منسوبة إلى غيره (إلى غير المؤيد) ولم يقل في القلم أحسن من هذا المعنى

ولبعضهم في القلم أيضاً وهو من هذا المعنى :

وأرقش مرهوب الشباة مهفهف بشتت شمل الخطب وهو جميع
تدين له الآفاق شرقاً ومغرباً وتعنو له ملاكها وتطيع
حمى الملك مفطوماً كما كان تحتمي به الأسد في الآجام وهو رضيع

(١) في الشرح في الكتاب (إرشاد الأريب) ذكرت هذه الرواية .

وكثير من المصنوعات التي نفعت أوروبا كثيراً علماً وتمديناً »

وقال المؤرخ الفرنسي لافاليه في وصف مدنية العرب والمسلمين:

« إنهم في جميع الفنون فاقوا المسيحيين ، وبلغوا الدرجة القصوى في الحضارة ، حينما كان أقرانهم من الأوروبيين هائمين في أودية الجهالة والوحشية ، فكانوا فوقهم في العلم ومثلهم في البأس ، وكانوا حكماء في المجالس أشداء في المآزق »

فكيف يجوز لفرنسا أن تعامل في القرن العشرين أمة ماضيها المجيد حافل بالمكرمات والمآثر معاملة العبيد الأرقاء ، وقد كان أسلافها بالأمس معلميها ومعلمي سائر الأمم ، كما كانوا ناشري لواء الحرية والعلم في أوروبا وسائر أنحاء الدنيا ؟ وكيف سمح لها تحريرها الحي ووجدانها اليقظ أن تنكل بالجزائر في شهر مايو الماضي فتضرب أبناءها ومدنها وقراها بمدافع الطائرات ، وتصب عليها من سفنها الحربية وابلا من النيران وحما من سعير الجحيم ، وتسوق الأحرار من بنيها إلى المحاكم فتحكم عليهم بالفناء والموت الزؤام!

ما ذا صنع أولئك المساكين ؟ وما ذا نقم منهم الفرنسيون ؟ لم ينقموا منهم إلا أنهم آمنوا بحقوقهم وشعروا بالظلم الفادح ينقض ظهورهم ويثقل كواهلهم ، فرغبوا في حريتهم وفي حياة الكرامة والاستقلال ، وأبوا حياة الضيم والهوان ...

يا فرنسا : خفضي من غلوائك ، واذكري ما كنت فيه بالأمس القريب يوم الاحتلال الألماني ، واعلمي أن في بلاد المغرب بسلاء لا ينامون على ضيم ، قد انحدروا من سلالة شرف ومجادة ، وجرت في عروقهم دماء سُلافهم الأولين الذين جاهدوا في سبيل إعلاء كلمة الحق وتوفير العزة للمؤمنين

يستعذبون منايا هم كأنهمُ لا يأسون من الدنيا إذا قتلوا

لا جرم أنه من الخير لفرنسا أن تنظر في سياستها الاستعمارية القديمة فتتنكب سبيلها ، وترد إلى تلك الشعوب حقوقها ، فبذلك وحده تبقى السلم ، ويعم العالم الأمن ، وإلا فبواعث الحرب قائمة ، ونذرها ماثلة ، ولن تكف الشعوب المهتضمة عن المطالبة بحقوقها ، ولن تني في الجهاد والاستشهاد في سبيل حريتها

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في شيء حقير كطعم الموت في شيء عظيم

حسن أحمد الخطيب
المفتش العام بوزارة المعارف

قلت : فى (حياة الحيوان الكبرى) للدميرى : (مرهوف الشباة[1]) وهى أصح ، وكانت (ملاكها) فى طبعة (الوفيات) (أفلاكها) .

* ج ١٠ ص ٧٧ :

عناء مُعِنٌّ وهو عندىَ راحة وسم زعاف ، طعمه فى فمى حلو

قلت : (مُعَنٌّ) وهو من (عنّى يعنّى) فى القاموس فى (عنى) : وعناء عان ومُعَنٌّ مبالغة . وفى اللسان : وعناء عان ومعن كما يقال : شعر شاعر وموت مائت ، قال الأعشى :

لعمرك ما طول هذا الزمنْ على المرء إلا عناء مُعنْ

والبيت الواوى هو لصاحب اللامية التى يقول فيها :

وإنما رجل الدنيا وواحدها من لا يعول فى الدنيا على رجل

* ج ٤ ص ٥٤ : وله (لأحمد بن على الأسوانى) تآليف ونظم ونثر التحق فيها بالأوائل . قُتل ظلماً وعدواناً فى محرم سنة اثنتين وستين وخمسمائة . وله تصانيف معروفة لغير أهل مصر ، منها كتاب مُنْيَةِ الألمعى وبُلْغَةِ المدعى : تشتمل على علوم كثيرة .

قلت : فى الصحاح : والمحرم أول الشهور . وفى المصباح : أدخلوا عليه الألف واللام لما للصفة فى الأصل ، ولا يجوز دخولهما على غيره من الشهور عند قوم وعند قوم يجوز على صفر وشوال . وفى شفاء الغليل : محرم بدون الألف واللام نصوا على أنه ممنوع لأنه علم بالغلبة فتلزمه اللام أو الإضافة واستحسنه ابن الرومى مضافاً فى قوله (محرم الحول فى تقدمه) .

وكتاب الأسوانى اسمه (أُمنيّة الألمعى ومَنِيّة المدعى) وهو مقامة طويلة وصف فيها منشيها عشرين علماً وشرحها[2] . وقد « اختصر هذا الشرح من الأصل مع زيادات فى بعض المواضع » العلامة الكبير المصلح الأستاذ الشيخ طاهر الجزائرى .

* ج ١٧ ص ٩١ : أنشدنا (الحسن بن الحسين العبسى الوراق) لنفسه فيه (فى مبارك الكاتب) :

مباركٌ بورك فى الطول لك فأصبحت أطول من فى الفلك
ولولا انحناؤك نلت السما ء ولكن ربك ما عدّلك

قلت : مبارك — بضمة واحدة وهو منادى — والوزن ، والهمزة فى أول العجز فى البيت الثانى ، مكانها فى الصدر فى السماء .

* ج ١٨ ص ١٣١ : كان ابن دريد قد أملى الجمهرة فى فارس ثم أملاها بالبصرة وبغداد من حفظه ... فلذلك قلما تتفق النسخ ، وتراها كثيرة الزيادة والنقصان ، ولما أمَلّه بفارس غُلامُه تَعَلَّمَ من أول الكتاب ، والنسخة التى عليها المعول هى الأخيرة .

قلت : ولما أمله[1] بفارس غلامٌ تُعُلِّمَ من أول الكتاب .

* ج ١٦ ص ١٨٤ : وللفتح بن خاقان (وزير المتوكل العباسى) :

أيها العاشق المعذب صبراً خطايا أخى الهوى مغفوره
زفرة فى الهوى أحط لذنب من غزاة وحَجّة مبروره

قلت : حجة بالكسر فى الفصيح والصحاح واللسان والقاموس . وفى اللسان : روى عن الأثرم وغيره : ما سمعنا من العرب حج حَجة . وروى عن الكسائى مثل ذلك . وفى النهاية : الحجة بالفتح المرة الواحدة على القياس . وقال الجوهرى الحِجة بالكسر وهو من الشواذ . وفى التاج : فتبين أن الفعلة تقال بالوجهين الكسر على الشذوذ . وقال القاضى عياض لا نظير له فى كلامهم ، والفتح على القياس .

قلت : الكسر خير .. وقد قال الأثرم والكسائى ما قالاه . ثم استغفر الله من رواية البيتين .

* ج ٤ ص ٢٣١ : تقدم رجلان إلى القاضى أبى أحمد بن أبى علان — رحمه الله — فادعى أحدهما على الآخر شيئاً فقال المدعَى عليه : ما له عندى حق . فقال القاضى من هنا ؟ فقالوا : ابن هارون النحوى العسكرى . فقال القاضى : فأعطه ما أقررت له به ...

قلت : (ما له عندى حق) بضم اللام ، وقد قالها عامية ، فورّط المسكين نفسه فى بلية . وما كان له — وهو العالم اللغوى النحوى — أن ينطق بغير صحيح . وإنى لأتيقن أنه راح يردد

(١) رهف السيف كمنع يرهف رهفاً رققه كأرهفه فهو مرهوف ومرهف (التاج) .

(٢) الكتاب مخطوط فى (المكتبة الخالدية) فى بيت المقدس كتبت سنة ٨٩٤ . وطبع مع شرحه المختصر و « تتمة تكمل بها أمنية الألمعى وتشتمل على مسائل » سنة ١٣٢٠

(١) قال الفراء : أملت لغة أهل الحجاز وبنى أسد ، وأمليت لغة بنى تميم وقيس ، ونزل القرآن العزيز باللغتين معاً .

— وهو يحمل تسجيل القاضي — هذا المثل : « إن البلاء موكل بالمنطق » ويلعن لغة العامة ودعاتها — إن كان لها فى ذلك الزمان دعاة ... — لعناً كبيراً .

* ج ٤ ص ٦٨ : ولم أزل منذ حرمت التشرف بخدمته أنطوى على مبايعته ، وأتلظى شوقاً إلى التسعد بخدمة حضرته التى هى مجمعُ الوفود ، ومطلعُ الجود ، وعصرِه المحمودِ .

وجاء فى الشرح : (المحمود) فى الأصل المنجود ، فأصلحت إلى ما ذكر .

قلت : وعُصرةُ المنجود . فى اللسان : قال أبو زُبيد :

مادياً يستغيث غيرَ مغاث ولقد كان عصرة المنجود

أى كان ملجأ المكروب . وفى الأساس : هو منجود : مكروب . وتقول : عنده نصرة المجهود ، وعصرة المنجود .

و (التسعد) طلب مرعى السعدان . فى اللسان : خرج القوم يتسعدون يطلبون مرعى السعدان ، وهو نبت ذو شوك ، وهو من أطيب مراعى الإبل ما دام رطباً . وفى المثل مرعى ولا كالسعدان .

فهل قاس الكاتب وهو « أحمد بن على الصفار من فضلاء خوارزم » التسعد على التشرف أم كان الأصل (التيمن برؤية حضرته) أو الاستسعاد أو ما شابه ذلك .

* ج ١٧ ص ٢٥١ :

فأيتُ مُحْتَضَر الجوى قلق الحشا

وأظل أعذِر فى هواكَ وأعذر

وجاء فى الشرح : محتضر أى كالمحتضر القريب من الموت ، وأعذر : أى أقبل عذرى فى هواك ، واعذر مجهول : يقبل منى العذر .

قلت :

فأيت محتضِنَ الجوى قلق الحشا

وأظل أُعذَل فى هواك وأعذَر

* ج ٥ ص ١١٤ : قال أبو العباس : هذا خطأ ألبتة .

وجاء فى الشرح : فى الأصل بتة فجعلتها ألبتة .

قلت : بتة صحيحة . فى الصحاح : لا أفعله بتة ولا أفعله ألبتة لكل أمر لا رجعة فيه ، وفى النهاية : يقال : بتة وألبتة . وفى المقامة الرملية :

طيرى متى نقّرت — عن نخلة وطليقها بتـــة بتلهْ

وفى إرشاد الأريب (ج ١٤ ص ٢٢٠) ولئن استفتى الفقهاء لم يكن عندهم منه إلا التعجب . واقتصر المصباح على بتة . ونقل اللسان والتاج كلام الصحاح ولم يدفعاه ، وذكرا قول سيبويه : « قعد ألبتة مصدر مؤكد ، ولا يستعمل إلا بالألف واللام[1] » — ولم يؤيداه .

* ج ١٧ ص ٢٧٣ : ومن شعر (محمد بن أحمد بن حمزة شرف الكتّاب)

أما والعيونُ النجل تُسمى نبالُها

ولمـــعُ الثنايا كالبروق تخالها

ومنعطفُ الوادى تأرج نشره

وقد زار فى جُنح الظلام خيالها[2]

وقد كان فى الهجران ما يزع الهوى

ولكن شـــديد فى الطباع انتقالها

. قلت : (أما والعيونِ النجل تسمى نبالها) (ولمعِ الثنايا كالبروق تخالها) (ومنعطفِ الوادى تأرج نشره) (لقد كان فى الهجران ما يزع الهوى) . فالواو واو القسم .

* ج ١٩ ص ١٢٦ : أبو القاسم (محمود بن عزيز العارضى) الخوارزمى الملقب[3] شمس المشرق كان من أفضل الناس فى عصره فى علم اللغة والأدب لكنه تخطى إلى علم الفلسفة فصار مفتوناً بها ممقوتاً بين المسلمين . وكان سكوناً سكوتاً وقوراً يطالع الفقه ويناظر فى مسائل الخلاف أحياناً . وكان الزمخشرى يدعوه الجاحظ الثانى لكثرة حفظه وفصاحة لفظه . أقام مدة بخوارزم فى خدمة خوارزم شاه مكرماً ، ثم ارتحل إلى مرو فذبح بها نفسه بيده فى أوائل سنة إحدى وعشرين وخمسمائة ، ووجد بخطه رقعة فيها :

(١) فى الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب : عول ابن قتيبة فى هذا الذى قاله على قول الفراء فلذلك قال : بتة بغير ألف ولام ، وكان سيبويه يقول لايجوز إلا البتة ، وذكر الفراء أنهما لغتان ، وقد جاء ذلك فى بعض ما خرجه مسلم فى الصحيح .

(٢) جنح : بالكسر وبضم

(٣) فى كتب اللغة : (لقبه بكذا فتلقب به) وكتاب السير مثل ابن خلكان وياقوت وطائفة من الأدباء يجردون الثانى كثيراً من الباء .

(هذا ما عملته أيدينا فلا يؤاخذ به غيرنا) .

قلت : وكان ساكناً سكوتاً وقوراً ، فى الأساس : فلان ساكن وهادئ ووديع . و (سكون) لم أجدها فى مكان . وليس هناك إلا (السكون) حىّ من العرب كما قال التاج .

ذكرتنى قصة (شمس المشرق) بهذين الخبرين .

جاء فى (إلمقابسات) لأبى حيان التوحيدى :

شاهدنا فى هذه الأيام شيخاً من أهل العلم ساءت حاله ، وضاق رزقه ... فلما توالى عليه هذا دخل يوماً منزله ، ومد حبلا إلى سقف البيت واختنق به ، وكانت نفسه فى ذلك . فلما عرفنا حاله جزعنا وتوجعنا وتناقلنا حديثه ... فقال بعض الحاضرين : لله دره ! لقد عمل عمل الرجال : نعم ما أتاه واختاره . هذا يدل على عزازة النفس وكبر الهمة . لقد خلص نفسه من شقاء كان طال به ... مع فاقة شديدة ... ووجه كلما أمه أعرض عنه ، وباب كلما قصده أغلق دونه ، وصديق إذا سأله اعتل عليه . فقيل لهذا العاذر : إن كان قد تخلص من هذا الذى وصفت على أنه لم يوقع نفسه فى شقاء آخر أعظم مما كان فيه وأهول ... فلعمرى نعم ما عمل ! لله أبوه ! ما أجمل ما اهتدى إليه ، وقوى عليه . وينبغى لكل عاقل أن يدفع إلى ما دفع إليه ... وإن كان قد سمع بلسان الشريعة ... النهى عن هذا وأشباهه فقد أتى بما عجل الله به العقوبة والعار ... سبحان الله أما كان يسمع من كل عاقل ... ومن كل من يرجع إلى مسكة ... النهى عن مثله والزجر عن ركوب ما هو دونه بكثير . فكيف لم يتهم نفسه ، ولم يتعقب رأيه ، ولم يشاور نصيحاً له ... لأنه أمر متى ركب بالظن والتوهم اللذين لم يؤيدا ببصيرة من عقل ولا عرضا على عاقل ، ثم استبان له فى الثانى ... خطأ ما عمل فاته التلافى ولم يمكنه الاستدراك ... وقد قضى العقل قضاء جزماً ، وأوجب النظر إيجاباً حتماً ، أنه يجب ألا يفرق الإنسان بين هذه الأجزاء الملتحمة والأعضاء الملتئمة ، وليس هو رابطها ، ولا هو على الحقيقة مالكها ، بل هو ساكن فى هذا الهيكل لمن أسكنه فيه ، وجعل عليه أجرة السكنى بعمارة المسكن وحفظه وتنقيته وإصلاحه وتصريفه على ما يعينه على طلب السعادة فى العاجل والآجل . وكان سعيه مقصوراً على التزود إلى مبوّأ صدق ، ولا بد له من المصير إليه والمقام فيه ... على خير غامر وراحة متصلة وغبطة دائمة ، حيث لا آفة ولا حاجة ولا أذى ولا حسرة ... فأما إذا كانت الحال على خلاف هذا ، فالشقاء الذى يتردد فيه .. يكون فى وزن ذلك ومقابله .

وجاء فى (يتيمة الدهر) لأبى منصور الثعالبى :

لما عاود أبو أحمد بن أبى بكر الكاتب بخارى من نيسابور ... وقاسى من فقد رياسته وضيق معاشه قذاة عينه وغصة صدره استكثر من إنشاد بيتى منصور الفقيه :

قد قلت إذ مدحوا الحياة فأسرفوا
فى الموت ألف فضيلة لا تعرف
منها أمان لقائه بلقائه وفراق كل معاشر لا ينصف

وقال فى معناهما :

من كان يرجو أن يعيش فإننى أصبحت أرجو أن أموت فأعتقا
فى الموت ألف فضيلة لو أنها عرفت لكان سبيله أن يعشقا

وواظب على قراءة هذه الآية فى آناء ليله ونهاره : (وإذ قال موسى لقومه : يا قوم ، إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل ، فتوبوا إلى بارئكم ، فاقتلوا أنفسكم) . فقال بعض أصدقائه إنا لله ! قتل أبو أحمد نفسه . فكان الأمر على ما قال ، فشرب السم فمات[1] ! !

قلت : مقالة (الإسلامية) فى الانتحار والمنتحرين بليغة روى محمد بن اسماعيل فى جامعه :

« من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها أبدا . ومن تحسى سماً فقتل نفسه ، فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً . ومن قتل نفسه بحديدة ، فحديدته فى يده يجأ بها بطنه فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبدا[2] »

والقوم فى الغرب فى هذا الأمر مختلفون ، فمنهم من يجبّن المنتحر ويضعفه وينقص خليقته ويعده مسيئاً إلى المجتمع وإلى

(١) قال الثعالبى فى حقه : كان أبو أحمد ربيب الدعة ، وغذى الدولة ، وسليل الرياسة ، ومن أول من تأدب وتظرف وبرع وشعر بما وراء النهر ، وحذا فى قرض الشعر حذو أهل العراق ، وسار كلامه فى الآفاق .

(٢) كان فى الجاهلية الاعتقاد « وهو أن يغلق الرجل بابه على نفسه فلا يسأل أحداً حتى يموت جوعاً قال محمد بن أنس : كانوا إذا اشتد بهم الجوع أغلقوا عليهم باباً وجلسوا حظيرة من شجر يدخلون فيها ليموتوا جوعاً ، ولقى رجل جارية تبكى فقال لها : مالك ؟ قالت تريد أن تنفد » (اللسان) .